القصة القصيدة والرواية القصيدة

الاصطلاح والتجنيس

مختار محمد مختار بن عاشور

تخصص الأدب والنقد

قسم اللغة العربية

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الجامعة الأسمرية الإسلامية

2021م

ملخص

سعت هذه الدراسة لمحاولة تتبع ظاهرة الأنواع الهجينة عبر اثنين من تمثلاتها هما (القصة القصيدة) و(الرواية القصيدة)، فبدأت من مفهوم الجنس الأدبي الذي وجدته مختلفا نسبيا ومتشابكا، وذلك للمرونة التي تتمتع بها الأجناس الأدبية، فانطلقت من مهاد نظري هو:

المهاد النظري:

الكائنات في هذا الوجود أجناس وأنواع وأصناف، تشترك في خصائص فتجتمع تحت جنس واحد، وتختلف في أخرى فيعطى كل كائن اسمه وهويته وفردانيته، ليتميز عن أبناء جنسه وفصيلته، وهذا هو حال الأجناس الأدبية، فجميعها تشترك في اللغة، لكنها تختلف من حيث الغايات التي يصبو إليها كل جنس، فبعضها يصبو إلى الإبلاغ والإفهام، وبعضها إلى الإقناع والتأثير، وبعضها إلى الإمتاع الحسي والمعنوي والمعرفي.

ولا شك أن لكل جنس أو نوع طريقته في الوصول إلى غايته من حيث استخدامه للغة بشكل وأسلوب خاص، يختلف – قليلا أو كثيرا – عن الأجناس الأخرى.

ولكن؛ أيتعين الحفاظ على هذا القانون؟ أم يحق للمبدع أن يتمرد عليه فيرفض مبدأ الأجناس، ولعل الأهم، هل يعد هذا غنى للنوع الأدبي أم قصورا فيه؟

مهما اختلفت الآراء وتعددت المقولات فلا ريب أن مقولة: **نقاء الأنواع الأدبية وثباتها** أصبحت من المتجاوزات في عصرنا؛ فالجنس الأدبي معطى غير ثابت يتغير نتيجة التراكم – النوعي والكمي– للكتابات الأدبية التي تفرض – في كل مرة– طرحا جديدا، بسمات وخصائص تنحو إلى بلورة جماليات جديدة، فالإبداع هو الذي يفرض نفسه، ثم يأتي النقد ليصنفه ويميزه، وقد يتبادلان الأدوار سابقا ولاحقا.

ولعل التداخل الأجناسي منذ عصر ما قبل الإسلام – وإن لم يعرف في ذلك العصر – وحتى اليوم، خير دليل وأفضل شاهد على ذلك، فقد تداخلت قديما "القصيدة" بـ "القصة" وغيرها، واستمر هذا التداخل بل زاد وتطور في عصرنا، إذ أصبحت الكتابات الأدبية تسعى إلى المزج بين الأنواع وكسر الحدود بينها، مما أضعف الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبية، فصارت الأنواع تستلهم من بعضها ويغذي بعضها بعضا، فصرنا نسمع "القصة الشعرية" و"الرواية السيرة" وغيرها من أشكال المزج النوعي.

ولما شهدته الكتابات الأدبية من تغير، فلا غرابة في تغير النتاج النقدي؛ فهو نتاج يقوم غالبا على الكتابات الأدبية، فأصبح النقد يتناول النتاج الأدبي ضمن تسميات اصطلاحية من قبيل "شعرية القص" و "سردية القصيدة" و "شعرية الخطاب الروائي" وغيرها.

كل هذا بسبب خصوصية هذه النصوص، فالمبدع لا يضع نصب عينيه (دائما) نصا معينا تحدده المسافات والمعايير المتفق عليها، – وأحيانا أخرى يكتب بمقصدية ووعي نصا يحاول اختراق كل الحدود الأجناسية –بل إن خصوصية النص ناتجة عن استجابة المبدع لحالته الإبداعية، والتكيف مع المتغيرات الجديدة التي من شأنها منح النص هويته، ولذلك نجد الكثير من النصوص الحديثة تخترق دائرة التصنيف.

من هنا ذهبت بعض الدراسات النقدية إلى أن محاولة حصر النوع الأدبي في جنس بعينه صار يضغط على تلقائية النص وتفاعلاته العميقة على المستوى التركيبي للنص من الداخل، خصوصا في حال تفجر المتن وإطاحته بالموروث من الأسيجة والحدود والقيود.

فالتداخل الأجناسي إذا موجود ومعروف، وإن اختلفت وجهات وزوايا النظر إليه، غير أن بعض الكتابات النقدية – التي قامت بدورها على كتابات إبداعية–، تذهب إلى أبعد من التداخل الأجناسي، فترى أن

التداخل بين الأنواع يقيم تحاورا يثريها، وتواصلا يغذي حركيتها ويذهب شبه القطيعة القائمة بينها، فتتولد أحيانا أنواع جديدة من حقها أن تلج ميدان التجريب.

هذه الدراسات النقدية والكتابات الإبداعية تجعل المتتبع في حيرة أمام مصطلحات وتجنيسات لم يعهدها من قبل، بل حتى القارئ لبعض تلك الأعمال الأدبية السابق ذكرها، يجد نفسه في حيرة إزاء تصنيف تلك الأعمال الأدبية.

ولذا ارتأيت أن هذا الموضوع جدير بأن أوجه إليه نفسي بالبحث والدراسة، وذلك في محاولة مني لتسليط الضوء عليه وإثرائه، بغية طرح إشكالياته، وإيجاد إجابة لبعض الأسئلة التي يثيرها.

موضوع الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة تتبع ظاهرة النص الهجين في منحاها السردي الشعري، وذلك في اثنين من تمثلاتها، هما: (القصة القصيدة)، و(الرواية القصيدة)، وذلك لأن التشعب والتوسع قد لا يخدم البحث العلمي، خصوصا إذا كان البحث أكاديميا محددا بفترة زمنية، وتحاول هذه الدراسة متابعة هذه الظاهرة بشكل نظري يفيد من الدراسات النقدية المعاصرة التي حاولت دراستها، وتحاول كذلك تلمس ملامحها في عدد من الأعمال الإبداعية التي يغلب الظن على أنها نصوص هجينة، وبما أن الدراسة تقتصر على "القصة القصيدة" و"الرواية القصيدة"، فإن النصوص المختارة كانت من النصوص التي يغلب الظن على أنها تندرج تحت هذين التجنيسين، ولذلك فإن هذه الدراسة أفادت من بعض النصوص من مجموعتي ***"يونس البحر"*** لـ "اعتدال عثمان" و ***" زهرة الليل"*** لـ "علي الجعكي" في تلمس ملامح "القصة القصيدة"، كما سعت إلى الاستفادة من رواية ***"من يسكب الهواء في رئة القمر"*** لـ "بشار عبدالله"، في تلمس ملامح "الرواية القصيدة".

أسباب الاختيار:

لعل جل ما ذكر في المهاد النظري يدفع الباحث إلى الولوج في هذا الموضوع ومحاولة التعمق فيه، لما يشكله من أهمية تثير الجدل في قضية الأجناس الأدبية وتداخلها، ولكن إذا أردت إجمال أهم الأسباب الدافعة إلى اختياري لهذا الموضوع على شكل نقاط مختصرة، فيمكن أن تكون على النحو الآتي:

- ابتعاد كثير من الكتابات الأدبية عن ظاهرة ما يسمى بالنقاء النوعي، وذيوع تلك الكتابات وانتشارها.
- ميوعة الحدود بين الأنواع الأدبية وتراخيها، بل وتلاشيها أحيانا.
- ميل كثير من المبدعين إلى مزج الأنواع الأدبية، وصهرها في أشكال فريدة، تحمل كثيرا من ملامح الإغراء وسمات الجاذبية.
- وجود تجنيسات ومصطلحات جديدة على الساحة الأدبية والنقدية، وتداخل مفاهيمها وسياقاتها عند كثير من الدارسين.
- محاولة النظر في بعض هذه التجنيسات الجديدة، بهدف إبراز خصائصها وسماتها واختلافها عن الأجناس الأخرى.
- الإسهام في إثراء المكتبة الأدبية في ليبيا وفي كل العالم.
- يمثل هذا البحث شغفا وتحديا بالنسبة لي، إذ كان فكرة بسيطة في إحدى حلقات الدبلوم الحوارية، ثم حاولت تطويرها وتنميتها حتى صارت مشروع بحث للإجازة العالية، أسأل الله أن تكون موفية لغرضها.

هدف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى رصد بعض أنظمة الكتابة الجديدة، التي أزّمت التعريف المعياري التقليدي، والبحث في مدى اختلاف النص الهجين في شكليه المستهدفين بالدراسة عن التداخل الأجناسي، وذلك بمحاولة الوقوف على أهم خصائصهما وسماتهما، ومدى اختلافهما عن أجناسهما الأصلية، ويسعى الباحث إلى تعزيز دراسته هذه، بمقاربة تطبيقية في قسمها الأخير.

منهجية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة متابعة ظاهرة الأجناس الهجينة عن طريق متابعة هذا اللون من الكتابة وتحولاته وتداخلاته، واختلافه عن التداخل الأجناسي، وذلك في شق نظري، يجري البحث فيه عن طبيعة النص العابر للنوع، وأشكاله المنطوية تحته، ومدى اختلاف النص الهجين عن التداخل الأجناسي، إن كان مختلفا عنه، وكذلك تفصيل الدراسة في الشكلين المستهدفين في هذا البحث، محاولا تحديد سماتهما وخصائصهما، وذلك بغرض استخلاص سمات هذين النوعين الجديدين وخصائصهما.

وحاولت الدراسة أيضا أن تثبت ما توصلت إليه في الشق النظري بمقاربة تطبيقية، تبين السمات النظرية في النصوص الإبداعية وتوضحها، حتى لا يكون ما في الشق النظري ضربا من المجازفة الغامضة المحتاجة إلى دليل.

أما بالنسبة **لمنهج الدراسة** المراد اتباعه، فقد اعتمدت منهج التحليل الفني، اهتداء بمعطيات نظرية الأجناس الأدبية، وكذلك بمعطيات منهج جماليات التلقي، ونظرية السرد الحديثة، وبعض أسس الشعرية الحديثة.

وأما أهم **الدراسات السابقة** التي أفاد منها البحث فهي:

1- **الكتابة عبر النوعية:** تداخل الأنواع الأدبية في الأدب العربي الحديث، لـ د. كوثر جابر (مجمع اللغة العربية، حيفا، 2012م).

حيث تناولت هذه الدراسة ظاهرة التداخل النوعي في الأدب العربي، محاولة رصد التأثير الحاصل بين الأنواع الأدبية كسمة من سمات الحداثة الأدبية، وذلك عبر فصل تاريخي تناول أهم الأسباب التي أسهمت في نشوء هذه الظاهرة، وفصل نظري يثبت أهم الكتابات والكتابات النقدية التي كتبت حولها، ثم فصل تطبيقي يدلل على الظاهرة المدروسة.

2- **الكتابة عبر النوعية:** مقالات في ظاهرة القصة القصيدة ونصوص مختارة، لإدوار الخراط (دار شرقيات، ط:1، 1994م).

ودار البحث في هذه الدراسة حول مفهوم الكتابة عبر النوعية، ومفهوم القصة القصيدة، حيث حاول الخراط أن يحدد مفهوم كل منهما، وأن يرسم سمات القصة القصيدة، وأهم الاختلافات التي تميزها عن غيرها.

3- **الرواية الشعرية العربية نموذجا لأصالة الحداثة،** لفريال غزول، قضايا وشهادات الحداثة (مؤسسة عيبال، دمشق، عدد:2، 1990م).

وركزت الدراسة على مفهوم (الرواية الشعرية)، وأهم مميزاتها، ووضحت مدى إفادة الرواية من بعض المميزات التي سمحت لها بدخول عالم الشعر، وأكدت كل ذلك بدراسة تطبيقية تدعم ما ذهبت إليه.

4- **تشكلات الشعرية الروائية،** لمحمود الضبع، (فصول، عدد:62، صيف وخريف 2003م).

وهي دراسة مكثفة تناولت مفهوم الشعرية بوصفها بنية نص يتحقق فيها الانحراف الدلالي والمجاوزة والمجاز وكسر القاعدة المعيارية، ووضحت أهم التغيرات التي طرأت على عالم الرواية، والتي قد سمحت لها بالاقتراب أو باختراق عالم الشعر، حيث بينت الدراسة أهم السمات التي تسهم في تشكل الشعرية الروائية.

أما دراستي هذه فتسعى إلى تحقيق ما سبق بيانه في منهجية الدراسة وأهدافها، وعلى هذا فقد جاءت الدراسة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على هذا النحو:

المقدمة: وتضمنت إشكالية الدراسة وهدفها، وأسباب الاختيار والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، والمصاعب التي واجهت الباحث.

أما الفصل الأول: (التجنيس والتنويع الأدبي): فقد اشتمل على مبحثين هما (**النص العابر للنوع: الحد والمفهوم**)، و (**معايير التداخل النوعي**)، سلطت الضوء في الأول منهما على مفهوم الجنس العابر للنوع ومفهوم النوع الهجين، والفرق بينهما، وأهم الفروق التي يمكن أن تفيد في التمييز بين النصوص التي تصنف تحت خانة التداخل الأجناسي، ثم حاولت في الثاني توضيح كيفية الإفادة من اللغة والتناص بكونهما آليتين تسهمان في التداخل النوعي.

وأما الفصل الثاني: (اتحاد السردي بالشعري): فقد كان مقاربة نظرية للقصة القصيدة والرواية القصيدة، افتتح بمفتتح بسّط مفهوم التداخل الشعري السردي، وتدرج بالحديث بدءا من نوع الشعر بمفرده والسرد بمفرده إلى مفهوم السرد الشعري المتحد، ثم كان المبحث الأول (**القصة القصيدة وإشكالية التجنيس**) الذي بين موقع القصة القصيدة بين الشعر والسرد، ومايز بينها وبين القصيدة السردية، وبينها وبين القصة القصيرة، ثم بين أهم الخصائص التي يمكن أن تميزها عن غيرها.

ثم تلا ذلك **المبحث الثاني: الرواية القصيدة وحدود النوع الجديد)** حيث تم فيه دراسة ماهية الرواية القصيدة، وتوضيح السمات التي تميزها، كاللغة، وضبابية الثيمة، والإيقاع، وتشظي الحبكة، والشخصيات.

وأخيرا الفصل الثالث: السرد الشعري في القصة والرواية: وكان مقاربة تطبيقية من مبحثين حمل الأول منهما عنوان (**القصة القصيدة وتشكلات النوع الجديد)**، حيث تم فيه تطبيق السمات المستخلصة للقصة القصيدة في الشق النظري، على بعض نصوص المجموعة القصصية (زهرة الليل) لعلي الجعكي، وبعض نصوص المجموعة القصصية (يونس البحر) لاعتدال عثمان، وأما **المبحث الثاني: (امتزاج الشعر بالرواية في الرواية الشعرية "من يسكب الهواء في رئة القمر؟")**، فقد كان مقاربة تطبيقية للرواية القصيدة على رواية (من يسكب الهواء في رئة القمر؟)، لبشار عبدالله.

ثم جاءت **الخـاتمـــــة** التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات كما هو مثبت آخر هذه الدراسة.

ملاحظة:

ينبغي التنبيه على أن البحث قد استخدم مصطلحي "الجنس" و"النوع" بذات المعنى، على الرأي الذي لا يفرق بينهما، فيستخدم المصطلحين للنوع ذاته.

ثم توصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات صيغة على هذا النحو:

الخاتمة

- سعت هذه الدراسة لمحاولة تتبع ظاهرة الأنواع الهجينة عبر اثنين من تمثلاتها هما (القصة القصيدة) و(الرواية القصيدة)، فبدأت من مفهوم الجنس الأدبي الذي وجدته مختلفا نسبيا ومتشابكا، وذلك للمرونة التي تتمتع بها الأجناس الأدبية.
- وضحت هذه الدراسة الفروق بين الكتابة عبر النوعية والنوع الهجين، ورأت أن القصة القصيدة والرواية القصيدة يندرجان تحت مفهوم النوع الهجين لا الكتابة عبر النوعية.
- قدمت تصورا لمعايير التداخل النوعي، وتناولت اللغة والتناص بكونهما آليتين رئيستين تسهمان في عملية التداخل، ثم حاولت توضيح دورهما في هذه العملية، من حيث كون اللغة المادة الخام للكتابة، ومن حيث كون التناص يفتح آفاقا أخرى للتناص البنائي.
- تمت محاولة استجلاء خواص القصة القصيدة عبر تمييزها عن القصة الشعرية وقصيدة النثر والقصة القصيرة، والخلوص بعد ذلك كله بمميزات خاصة تتسم بها هي (الموسيقى) و(الإيجاز والتكثيف والمجاز) و(الشذرية).
- تم كذلك رصد مميزات الرواية القصيدة التي تمثلت في اللغة وضبابية الثيمة والإيقاع وتشظي الحبكة والشخصيات، حيث تم عرضها ومناقشتها، وذلك بعد أن تم توضيح ماهية هذا النوع.
- يمكن القول إن القصة القصيدة والرواية القصيدة نوعان هجينان يمزجان بين القصة والشعر، وبين الرواية والشعر، ويتميزان بسمات تميزهما عن الشعر والرواية والقصة.
- تذهب الدراسة إلى أن القصص المستهدفة بالدراسة قصص هجينة تدخل تحت تجنيس (القصة القصيدة)، وأن الرواية (من يسكب الهواء في رئة القمر) نوع هجين أيضا يندرج تحت تجنيس (الرواية القصيدة).

- تؤكد الدراسة على أن السمات المستخلصة في تمييز (القصة القصيدة) و(الرواية القصيدة) ليست السمات النهائية لهذين النوعين، بل تؤكد على ضرورة مواصلة الأبحاث والدراسات حولهما للإضافة والتعديل والمناقشة.